جدلية الحكمة والبطش

د.نورة السعد

كأنما أحداث سبتمبر في نيويورك وواشنطن كانت هي آخر خيط في قناع حقيقة العداء الكامن الغربي المتطرف للمسلمين والإسلام.. ووجد الإعلام الصهيوني ضالته المنشودة كي ينفث سمومه وحقده على جميع العرب والمسلمين سواء في داخل أمريكا أو خارجها وفي كل موقع تصله الأيادي الملوثة كي تنتقم من الإسلام عقيدة ثم من المسلمين .. ولن نتحدث عن الدور المتعدد الأبعاد للحقد الصهيوني سياسياً وعسكرياً وإعلامياً واقتصادياً على كل ما يمت للإسلام بصلة، وعلى مدى عام وثمانية أشهر والعرب والمسلمون يبررون ما حدث في نيويورك وواشنطن ويدافعون عن أنفسهم... ونال المملكة العربية السعودية نصيب كبير من هذا الهجوم الذي ما هدأ الا لفترات ليبدأ مرة أخرى وفق سياقات مقننة.

حكومتنا هنا وكما عهدناها تتصف بالحكمة ولا تقابل هذه الحملات بما يماثلها..

ورغم اتجاه الإدارة الأمريكية للانتقام من كل من يتوهمون أنه "العدو" فلا بأس من انهمار أطنان المتفجرات والصواريخ على كل موقع وموطن يعتقدون انه يهدد أمنهم فذلك خيارهم!! ومن يملك مقاومتهم؟ فهم ينشئون ايضا مكاتب للتضليل الإعلامي كجزء من محاربة الإرهاب!!

وهنا في الوطن عندما اهتزت العاصمة بالتفجيرات المدمرة واستنكرنا جميعا هذا الاتجاه وهذا الاسلوب ورغم بشاعة هذا العمل الذي وصفه ولي العهد الأمين بقوله (إنه فعل شيطاني ولسعة إبليسية)..

وهو أفضل وصف يجسد بشاعة ما حدث.. ويمنح القارئ لهذه العبارة بعدا فكريا في كيفية وسائل تعامل هذه الدولة مع هذه الجرائم ..حدد سموه ان العقوبة ستنالهم وتنال من يقف معهم تحريضاً وتأييداً وتعاطفاً.. وهي دوائر مهمة لا يتوقع تجاوزها للقضاء على جذور هذا الفعل الإجرامي..

والفارق بين حكمة ولاة الأمر هنا في التعامل مع هذه الأحداث مقارنة بما هي ردة فعل الذين حولوا العالم إلى كرة ملتهبة انتقاماً لقتلاهم.. نجده في عبارة صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في حواره مع جريدة السياسة الكويتية عبارة مهمة تبلور الاسلوب الحكيم والفاعل لصد هذه الجرائم..

فرغم أن سموه أكد على رفض هذه الجرائم ولكنه استثمر مخزونه الهادئ من حكمة التوقيت وقوة البصيرة فرده على سؤال الصحيفة القائل: سيدي سمو ولي العهد إن المتابع لمسار السياسة السعودية يرى أنكم تحليتم كثيرا بفضيلة الحلم والمسامحة في تعاملكم مع أصحاب هذه الأفكار الشيطانية، فهل نتصور الآن اننا بصدد التعامل مع غضبة الحليم وهي غضبة عاصفة ومبررة؟

ورغم ما في السؤال من إيحاءات متعمدة لإعلاء الغضبة على وسيلة الحكمة لاجتثاث الشرور والجرائم.. إلا أن إجابة سموه كانت متميزة فقال: "الامور لا تقاس برد الفعل على الانفعال ومن المرئيات الحكيمة معالجة القضايا مع الأخذ في الحسبان الوقت الذي تتطلبه هذه المعالجة فنحن لن يدفعنا أحد كرد فعل الى البطش، فالبطش ليس من سياستنا لكننا في المجمل وعلى مدى مسار سياسة هذا البلد وحكامها وبعون الله اجتزنا مصاعب كثيرة وما بعد الشدة الا الفرج في كل الأحوال".

وعبارة سموه تشكل الإطار المهم في حزم الحكومة وشدتها على المجرم.. وما تحقق للوطن من أمن وأمان هو المؤشر والدلالة على إطار العقوبات الرادعة لكل من يخل بأمن المجتمع، والفرق واسع بين العقوبة الرادعة للجرم وبين البطش الذي يرفضه الولاة.

ومن الوقفات المهمة في حوار سموه مع الصحيفة تأكيده على أن (الإسلام دين الوسط وعلماؤه ومشايخه الأفاضل ذوو الحكمة والذهنية المتبحرة في العلم والفهم، يحملون على كاهلهم هذه الحقيقة، ويدافعون عنها، ولكن هناك مغالون في الدين، وينصبون أنفسهم عبر هذه المغالاة مفتين ومشرعين. هذا الأمر أوضحه دائما وأنتقده بشفافية امام هذا الجمع الذي ألتقي به).

ثم أكد سموه وكأنما هو يذكّر كل مواطن ومواطنة في اي موقع ثقافي أو اجتماعي أو إعلامي. (ان الإسلام هو دين ودنيا، وهو نظام سياسي واجتماعي واقتصادي كامل اذا ما أخذنا بروحه النقية وتعاليمه السمحة.. الإسلام ليس عباءة يرتديها أي شخص أو رمحاً يحارب به من يشاء ويدعي انه منه وإليه دون فهم متعمق لروحه السمحة والنقية)..

كم هو مهم أن نتخذ من ولاة الأمر قدوة لنا في تعاملنا مع الأحداث المأساوية.. فالإسلام ليس عباءة يرتديها من يريد أن يدافع عنه بغلو وتطرف.. أو من يرتديها ليهاجمه وينتقد تعاليمه بدعوى أنه يمثل (الوسطية).. أو أنه يمثل الفئة (التنويرية)!!

اتكاءه الحرف:

قال عمر بن الخطاب: نحن أمة أعزها الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.